الفصل الأول

- حواء فى الإسلام
- نساء أضأن الحياة

حواء فى الإسلام

كرم الإسلام المرأة ووضعها فى مكانة ومرتبة رفيعة ولم يفرق بينها وبين الرجل إلا بما يتفق وطبيعة كل منهما، بل تساويا فى العبادات والجزاء والعقاب والحقوق والواجبات وظهر ذلك فى تعاليم القرآن الكريم وما ورد عن المصطفى ﷺ من أحاديث وكذلك سيرته العطرة وعلاقته بزوجاته أمهات المؤمنين وبناته ﷺ وهو مانعرض له فى السطور التالية:

قال الله تعالى فى كتابه الكريم..بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ فنرى هنا أن الله سبحانه وتعالى عندما أراد أن يضرب مثلا للذين آمنوا رجالا ونساء ضرب المثل بامرأتين، وهذا أعظم تكريم للمرأة وهو أن نموذج الإيمان يتمثل فى هاتين المرأتين الصالحتين..

فالمرأة هى نصف المجتمع وهى التى تربى النصف الآخر وهى الأم والأخت والزوجة والابنة ومصدر الحنان والعاطفة فى الحياة وقد جعلها الله سكن للزوج وجعل بينهما مودة ورحمة... كما كرم الله الأم ووصى بها إحسانا فى القرآن، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع كله وكانت بمائة رجل وحملت الدين على أكتافها.

ونجد أيضا أن آخر وصايا الرسول ﷺ قبل وفاته كانت (ألا استوصوا بالنساء خيرا)... كما قال: (رفقا بالقوارير)... وقال ﷺ (اتقوا الله فى نسائكم فإنما هن عوان عندكم)... فهنا نجد القيمة الكبيرة للمرأة عند النبى ﷺ واهتمامه بها.القرآن الكريم كرم حواء فنجد أن هناك سورة فى القرآن اسمها سورة النساء وتتكلم عن العدل والرحمة مع المستضعفين فى الأرض وخاصة النساء.. فالإسلام هو الذى كرم المرأة وأعاد إليها كرامتها بعد أن كانت مهانة و ذليلة وبلا قيمة فى كل الأمم التى عاصرت أو سبقت عهد النبى.. كانت مهانة عند اليهود والنصارى والإغريق والرومان والفرس وغيرها من الحضارات القديمة وجاء الإسلام ليضع المرأة فى مكانها الطبيعى وليغير الصورة تماما.. يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (قضايا المرأة) لو قام فى هذا العصر مجتمع إسلامى واضح المعالم فى بيان مكانة المرأة وميدان عملها ومجال نشاطها لاختفى من الدنيا فساد كثير! إن أصحاب الطباع السليمة يكرهون الاختلاط المسعور فى حضارة الغرب والتكشف الفاضح هناك واستخفاء جو الأسرة، وانطلاق الغرائز دون ضابط، وهم يتطلعون إلى بديل أفضل فلا يجدون. لأن صياح الغلاة من المسلمين ألقى فى روعهم أن الإسلام سجان المرأة وعدو اكتمالها الإنسانى وأنه تحت ضغط المدنية الحديثة أذن لها بالتعليم وهو كاره، وأذن لها بالذهاب إلى المسجد يوم الجمعة وهو ضائق. وربما تشبه بعض حكامه بالغرب فسمح للنساء بأن يشاركن فى الانتخابات وينتظمن فى مجالس الشورى، وهؤلاء الحكام موضع سخط المتدينين. ولو نجح أهل الدين فى تولى السلطة لغلقت على النساء الأبواب، ولم يروجه واحدة منهن..! أقول: والكارهون للإسلام والخائفون من عودته لهم العذر عندما يلتقطون للدين هذه الصورة الكالحة الشائهة، والغلاة من الصنف الذى ذكرنا آنفا يشبهون أهل الكتاب الذين قيل لهم عند بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.. هؤلاء الغلاة يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين فى المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء، وكن يشاركن فى معارك النصر والهزيمة وكن يشهدن البيعات الكبرى، وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر! كانت المرأة إنسانًا مكتمل الحقوق المادية والأدبية، وليست نفاية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون، وكما أشاعوا عن الإسلام فصدوا عنه ونفروا منه،

يقول الأستاذ أحمد موسى سالم «الشرع فى حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومانحها كل الحقوق التى تقررت للرجل، والتى تكفل حرية إرادتها فى علاقتها به وتعاملها معه». وهذا المعنى يؤكده قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة حين يقول: «سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى فى مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات».. نعم توجد استثناءات قليلة تعد من قبيل الشذوذ الذى يؤكد القاعدة، وهذه الاستثناءات لم تنشأ لإهانة المرأة وإنما وضعت لتنسجم مع طبيعتها أو وظيفتها الاجتماعية، وإلا فالأساس العام قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾.

ينظر الإسلام إلى المرأة كونها تلعب دور أسرى فى الأساس كونها الأم والأخت والزوجة، وأنها شريكة الرجل فى تحمل مسؤوليات الحياة.[١] وبرز فى عدد من العصور والأماكن العديد من النساء المسلمات فى مناحى الحياة السياسية والقضائية والتجارية والثقافية والاجتماعية.

- فقد أشار القرآن لبنى آدم فى مواقع عديدة وإلى الرجال والنساء معا منها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
- فالمرأة مكلفة مع الرجل من الله جل جلاله فى النهوض بمهمة الاستخلاف فى الأرض.[١] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.
- والمرأة على درجة واحدة مع الرجل فى التكريم والإجلال عند الله.[١] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.

- وقدسية حياة المرأة والرجل على مرتبة واحدة من المكانة والصون عند الله[١] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾.

- ويذكر القرآن أن المرأة منبت البشرية ومنشئة أجيالها[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.
- وفى آية أخرى نجد المرأة فى الزواج سكنا ومصدرا للمودة والحنان والرجل لها ذلك[١] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.
- وأوجب الله على الرجل والمرأة سواء مهمة تكاثر السلالات البشرية وتعارفها وتعاونها، وتكوين الأسرة باعتبارها الوحدة البنائية الأولى والأساس فى إقامة المجتمعات البشرية، من غير تمييز بينهم على أساس الجنس أو اللون أو العرق.. والعمل الصالح وتحقيق الخير للناس هو مادة التنافس بينهم، وهو معيار التفاضل بينهم عند ربهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

• كما أقر الإسلام أن مسؤولية الحياة وتصريف شؤونها ورعاية مصالح العباد تقع على عاتق الرجل والمرأة على حد سواء وبما اختص كلا منهما من واجبات ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وفى حديث للرسول الكريم«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». ولقد ساوى القرآن الكريم بين الرجل والمرأة فى الجزاء فيقول المولى عز وجل فى محكم كتابه:

• ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾.

والشورى وتبادل الرأى مسؤولية مشتركة بين الرجال والنساء حيث يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.. وفى السيرة تجاوز المسلمون أخطر أزمة فى بداية تاريخ الإسلام يوم صلح الحديبية بحكمة امرأة ومشورتها وهى أم المؤمنين أم سلمة – رضى الله عنها.(الدكتور حامد الرفاعى: الإسلام.. وتكريم المرأة)، موسوعة ويكيبيديا الحرة مكانة المرأة فى الإسلام.

ومع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها. فى هذه المرحلة أصبحت المرأة مستقلة ومتمتعة بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية.

فالمرأة تتمتع بحقوق تعادل ما عليها من واجبات ثقيلة فى المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٨]. وقد اعتبر الإسلام المرأة كالرجل: كائنا ذا روح إنسانية كاملة، وذا إرادة واختيار، ويعيش حياته متكاملة مع الآخر الذى هو هدف تعمير الأرض وعبادة الله، ولذلك خاطب الله تعالى الرجل والمرأة معا فى بيان واحد حين قال:

(يا أيها الناس.. ويا أيها الذين آمنوا) ووضع لهما منهجًا تربويًا واخلاقيًا وعلميًا ووحدهما بالسعادة الأبدية الكاملة فى الآخرة كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة غافر: الآية ٤٠]. وأكد أن الجنسين قادران على انتهاج طريق الإسلام للوصول إلى

الكمال المعنوى والمادى لبلوغ الحياة الطيبة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ – [سورة النحل: الآية ٩٥]. فالإسلام يرى المرأة كالرجل إنسانا مستقلا حرا، وهذا المفهوم جاء فى مواضع عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ – [سورة المدثر: الآية ٢٨]. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصلت: الآية ٤٦]. ومع هذه الحرية فالمرأة والرجل متساويان أمام قوانين الجزاء أيضا:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ... ﴾ [سورة النور: الآية ٢]. ولما كان الاستقلال يستلزم الإرادة والاختيار، فقد قرّر الإسلام هذا الاستقلال فى جميع الحقوق الاقتصادية وأباح للمرأة كل ألوان الممارسات المالية، وجعلها مالكة عائدها وأموالها، يقول تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢].

• فكلمة (اكتساب) خلافا لكلمة (كسب) – لا تستعمل إلا فيما يستفيد منه الإنسان، لنفسه فقد أعطى الإسلام المرأة قيمة إيمانية تعبدية، فضلا عن قواعد تنظيمية حياتية تحقق مصالح المجتمع، فأمر بالسمع والطاعة للأم، حيث جعل الله طاعة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما مقرونا بطاعته وعبادته فى أربعة مواضع منفصلة بالقرآن.

ويضيف الشيخ محمد الغزالى قائلا: نحن العرب مصابون بفقدان الذاكرة، وانعدام الوعى.. المرأة عندنا ليس لها دور ثقافى ولا سياسى، لا دخل لها فى برامج التربية ولا نظم المجتمع، لا مكان لها فى صحون المساجد ولا ميادين الجهاد. ذكر اسمها عيب، ورؤية وجهها حرام، وصوتها عورة، وظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش!. المرأة اليهودية تشارك مدنيا وعسكريا فى قيام إسرائيل، وها هى ذى توشك أن تكون ملكة فى البيت الأبيض تضع اللمسات الأخيرة فى الإجهاز علينا، ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجادلون فى حق المرأة أن تذهب إلى المسجد وتحضر الجماعات، إننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت! فهل نعى ونرشد؟ المساواة ثابتة إننا ننظر هنا إلى جوانب من قضية المرأة لأن هذه الجوانب تتجاوز أصحابها إلى سائر العالم، فالحضارة الأوربية هى التى تقود الدنيا كلها الآن.. إن فلاسفة اليونان ما أنصفوا المرأة ولا أعزوا جانبها ولا أعلوا مكانتها، بل إن تاريخ أولئك الفلاسفة ملطخ بالعار موغل فى الشذوذ والإسفاف وليس يعنيهم فى

انطلاق الشهوات أن تنحرف أو تستقيم!. وتاريخ الرومان ليس أشرف من تاريخ اليونان، ونزوات القياصرة لا تعرف حدودا، وامتلاء القصور بالنساء أمر مألوف، سواء كن إماءً أو حرائر.. وقد حاولت المسيحية أن تكفكف هذه الغرائز الجامحة بالرهبانية الصارمة فكانت كما قال الشاعر: إذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ما شفاكا.. وقد تأملت فى قصة الميل إلى المرأة فوجدت أن الصعاليك حسدوا الملوك على أكوام المتع التى لديهم، يريدونها أو يريدون مثلها! إنهم لم يتألموا لأن سليمان ملك ألف امرأة كما روى كاتب العهد القديم ولم يحزنوا لأن مئات من هذا الألف ضائعة الحق محرومة من رجل يرعاها وترعاه، كلا، ذلك لايعنيهم! إن تساؤلهم هو لماذا يملك رجل وحده هذا المخزن المليء بالمتع؟ فلما محوا الإقطاع حولوا الحريم الخاص برجل واحد إلى حريم مشاع للجميع أو كما يقول أحمد موسى سالم: «حريما مفتوحا فى المطاعم والفنادق وعلى الأرصفة وتحت أشجار الحدائق العامة وبجوار حوائط الليل المظلمة وفى ساحات المراقص اللعوب والأحفال الساهرة فكل من شاء يفعل ما شاء، مع من يشاء ومن تشاء.. إنه عنوان التحرر العجيب من الخلق والعفاف وضوابط النسل وحدود الله فى الأسرة».. «هذا هو البديل عن الحريم القديم المغلق، إنه القيمة الجديدة المباحة للجميع والمتاحة للجميع والمهلكة للأسرة فى العالم كله». وكل مسلم يخاف على دينه وعلى أمته من هذه الحضارة التى نسيت الله والوحى وأرخت العنان للغرائز الحيوانية تعربد دون وعى. والإسلام الذى نقدمه علاجا شريفا لهذه الفوضى العامة لا يؤخذ من أفواه المجانين الذين ينادون بحبس المرأة فلا تخرج من البيت أبدا إلا لزوجها أو قبرها كما يقولون، إننا نأخذه من تعاليم الإسلام الواضحة فى الكتاب والسنة.. ومصيبة ديننا فى أناس يحرفون الكلم عن مواضعه، ويطيرون بحديث موضوع أو معلول ليلغوا به الآيات البينات، والسنن الثابتات البينات.. إن الذى يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة فى الإنسانية بين الذكور والإناث وأنه إذا أعطى الرجل حقا أكثر فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش. وقوامة الرجل فى البيت لا تعنى ضياع المساواة الأصلية، ومع أن الدنيا تغيرت فالعلاقة بين الجنسين وحقوقها العامة والخاصة لم تأخذ بعد طريقها الصحيح، وذلك لأن بعض الناس يأبى أن يستقيم على منهج القرآن الكريم! يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ هذه رابطة ولاية و وفاق

بين الجنسين على مناصرة الحق ومخاصمة الباطل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله، رابطة ولاية يتحول بها المجتمع كله إلى خلية ناشطة لها منهج وغاية.. فإذا نشأ عقد زواج بين مؤمن ومؤمنة فإن هذا المعنى يتأكد وتصبح العلاقة الجديدة مراعاة الوظائف واجبة فى جنون المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة فى ميادين الأعمال لكى يتطهر المجتمع من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تولد تتحرك وتقوى. فى سن اليفاعة، أى نحو الخامسة عشرة من العمر، أى قبل اكتمال القدرة العقلية، واستطاعة النهوض بأعباء الزواج، ورعاية الأسرة، ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف.. إن الزواج ليس تنفيسا عن ميل بدنى فقط! إنه شركة مادية وأدبية واجتماعية تتطلب مؤهلات شتى، وإلى أن يتم استكمال هذه المؤهلات وضع الإسلام أسس حياة تكفل الطهر والأدب للفتيان والفتيات على سواء.. إن من غرائب السلوك الإنسانى، أنه هو الذى يصنع لنفسه القيود المؤذية، وهو الذى يخلق الخرافة ثم يقدسها!! وقد رأيت أن المسلمين فى أقطار شتى جعلوا الحلال صعب المنال، وفتحوا الأبواب لوسائل الإغراء، كى تهيج الساكن من الغرائز، حتى الإعلان عن السلع فى التلفاز تقوم به الفتيات المتكشفات، بل إن بعض البرامج تشرف عليها فتيات يقدسن آخر تسريحة للشعر فى الغرب! بل قد يظهرن بعدة تسريحات فى يوم واحد! يقول الكاتب المؤرخ «ول ديورانت» فى كتابه «مباهج الفلسفة»: فحياة المدينة تفضى إلى كل مثبط عن الزواج، فى الوقت الذى تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية، وتيسر كل سبيل يسهل أداءها. ولكن النمو الجنسى يتم مبكرا عما كان من قبل، كما يتأخر النمو الاقتصادى، فإذا كان قمع الرغبة شيئا عمليا ومعقولا فى ظل النظام الاقتصادى الزراعى، فإنه الآن يبدو أمرا عسيرا، وغير طبيعى فى حضارة صناعية أجلت الزواج حتى بالنسبة للرجال، فقد يصل إلى سن الثلاثين، ولا مفر من أن يأخذ الجسم فى الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان فى الزمن القديم، وتصبح العفة التى كانت فضيلة موضعا للسخرية، ويختفى الحياء الذى كان يضفى على الجمال جمالا. ثم يفاخر الرجال بتعداد خطاياهم، وتطالب النساء بحقها فى مغامرات غير محدودة، على قدم المساواة مع الرجال، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرا مألوفا، وتختفى البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات لا برقابة الشرطة، لقد تمزقت أوصال القانون الأخلاقى.. ولكن معظم هذا الشر يرجع فى أكثر الظن فى عصرنا الحاضر إلى التأجيل غير الطبيعى للحياة الزوجية، وما يحدث من

إباحة بعد الزواج فهو فى الغالب ثمرة التعود قبله. ولا يقل الجانب الآخر من الصورة كآبة، لأن كل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن فى ابتذال ظاهر، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة فى هذه الفترة من التأجيل نظاما دوليا مجهزا بأحدث التحسينات، ومنظما بأسمى ضروب الإدارة العلمية، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات و إشباعها. ويلفت المؤرخ «أرنولد توينبى» النظر إلى أن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يمكن أن تؤدى إلى تدهور الحضارات. إن العلاقات الحرام لم تعد نزوات عابرة، إنها نمت كالسرطان الخبيث وتطاير شررها، وطورها الشيطان تطويرا واسع الأرجاء. فلم يعد الجنس تلك العلاقة الحسية القائمة بين زوجين اثنين أو حتى بين شخصين لا يربطهما عقد شرعى أو قانونى، بل أضحى عالما واسعا بكل ما فيه من فنون ووسائل ومثيرات. وفى الواقع يستحيل اليوم السير فى أية مدينة كبيرة دون التعرض «للقصف الجنسى» الحقيقى.. إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سينمائية، صور معروضة فى مداخل علب الليل، وآلاف من الفتيات والنساء يرتدين ثيابا كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب. إن اللواط والسحاق الممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبى، ونوادى الشذوذ، ونوادى العراة، والمجلات الماجنة، والأفلام الجنسية الفاضحة، والصور الخليعة.. إلخ كل هذه وغيرها أصبحت السمة المميزة للمجتمعات البشرية فى شتى أنحاء الأرض. إن الإسلام ربط بين نسيان الله وغلبة الهوى، أو بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات.. وعندما فتح المسجد للنساء جعل لهن صفوفا خاصة فلم يخلطهن بالرجال، وأمرهن أن يجئن محتشمات قانتات لله. وأمر كلا الجنسين بغض البصر، وأمر النساء خاصة ألا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بطبيعته فى الوجه والكفين! «ودعا دعوة عامة بعد ذلك إلى الزواج وجعله نصف الدين». وقد نسى الغلاة هذا كله، فحبسوا النساء فى البيوت حبسا مطلقا، ووضعت تقاليد للزواج جعلته يقصم الظهر..

مكانة المرأة فى الإسلام

يقول الدكتور حامد الرفاعى [١] لقد اختص الإسلام المرأة بامتيازات عن الرجل تقديرا وإكراما لها، مقابل ما كلفها به من أمرين عظيمين جليلين تتحمل مسؤوليتها العظيمة الرفيعة وهى:

- تحملها مهمة إعداد نفسها لتكون سكنا معنويا وروحيا وحسيا لزوجها يأوى إليها، يغسل فى ظلال أنوثتها ورحاب نفسها وغزارة عواطفها المتميزة بالرحمة والمودة أدران ومتاعب وهموم كدحه وكفاحه فى ميادين ما كلف به من واجبات لم تكلف بها المرأة، فى قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.
- تحملها أعباء الحمل ومخاطره ومشقة الولادة والأمهات، ومسؤوليات الأم فى حضانة الأطفال وتنشئتهم، ومتابعة تربيتهم وإعدادهم ليتحملوا مسؤولياتهم تجاه تكاليف الحياة التى تنتظرهم.. وإنها لا شك مسؤولية تتضاءل أمامها أية مسؤولية أخرى.
- مقابل هذين الأمرين العظمين والمهمتين الجليلتين فقد اختص الإسلام المرأة بامتيازات عن الرجل، بأن خفف عنها بعض الأعباء دون انتقاص من حقوقها أو حقوق الزوج.. نذكر منها:

١ – لقد أعفى الإسلام المرأة من أعباء القيادة العليا ومسؤولياتها وتبعاتها فى تصريف شؤون الحياة، وجعل ذلك العبء ومسؤولياته على عاتق الرجل، وله أن يستعين بالمرأة ما أمكنها ذلك وبرغبتها متطوعة فى ذلك من دون إرهاق لها أو تحميلها ما لا تطيق، كما هو فى قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤].

٢ – أعفى الإسلام المرأة من واجبات فريضة الحرب والقتال وجعل ذلك من واجبات الرجال ومسؤولياتهم، دون أن تحرم النساء من رغبة المشاركة فى الجهاد وإباحته لهن إذا أردن ذلك، من غير تحمل أية مسؤولية بسبب التقصير وعملهن فى ذلك تطوعى ليس بواجب.

٣ – خفف الإسلام عن المرأة عبء مسؤولية الشهادة أمام القضاء فجعل مسؤوليتها فى ذلك نصف مسؤولية الرجل إذا تخلفت عن الشهادة أو نسيت مضمونها، بينما حمل الرجل كامل المسؤولية فى ذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].. أما فى الحالات الخاصة التى تمس مسؤوليتها فى تحديد المولود ونسبه، فقد جعل مسؤوليتها فى الشهادة فى هذا الأمر

مسؤولية كاملة من دون مشاركة لأحد معها من الرجال أو النساء فى تقرير هذا الأمر العظيم الذى تترتب عليه أحكام المواريث والأنساب وغيرها، وهذه ثقة كبرى بالمرأة فى التشريع الإسلامى.

٤ – أعفى الإسلام المرأة من تكاليف النفقة فى الحياة الزوجية، وجعل هذا العبء بكامله من مسؤولية الزوج فحسب، ابتداء من مهر الزوج وتكاليفه إلى تكاليف المنزل ومتطلبات الزوجة والأولاد، دون المساس بأموال الزوجة وممتلكاتها الشخصية التى لا يحق للرجل أن يطالبها بشىء منها، فإن فعل فإنما هو اعتداء واغتصاب لحق الغير، وهكذا فإن الإسلام أعطى للمرأة امتيازا ماليا غير عادى على الرجل.

٥ – إن الإسلام مثلما اختص المرأة بامتيازات كثيرة مكافأة وتقديرا لها على المهام الأساسية الكبرى التى كلفها بها، فقد اختص الرجل بامتياز فى حالة من حالات الإرث وذلك تقديرا وإنصافا له، مقابل ما كلفه من تحمل كامل لمسؤولية الإنفاق على الزوجة وغيرها من الأب والأم والأخوات وكل ذى رحم.

٦ – وهكذا نجد أن الإسلام قد أقام علاقة تكاملية بين حقوق وواجبات الرجل والمرأة مع امتيازات خاصة بالمرأة تقديرا وتعظيما لمهمتها الإنسانية العظيمة.

ومنح الإسلام الأم من التكريم والتبجيل أكثر مما هو للرجل، حيث أمر رسول الله محمد بصحبة «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» عندما سأله سائل من أولى الناس بصحبته، وفى حديث آخر «الجنة تحت أقدام الأمهات» [١] كما أوصى فى نهاية خطبة الوداع بمراعاة حقوق النساء. ومن أطول سور القرآن سورة النساء التى تنص على قواعد يجب مراعاتها فى معاملات متعلقة بالنساء.

حقوق المرأة فى الإسلام

تقول الدكتورة فوزية العشماوى فى كتابها (مكانة المرأة فى الإسلام).. وبدون أدنى شك فإن الإسلام قد كرم المرأة وكفل لها حق الحياة ونهى عن تلك البربرية التى كانت سائدة فى الجاهلية ألا وهى وأد البنات ومنح المرأة من الحقوق ما رفع مكانتها وأعلى من شأنها بالنسبة لما كانت عليه قبل الإسلام.. ومن الواضح جليا أن الاتجاه السائد فى الخطاب القرآنى وفى الأحاديث النبوية الشريفة هو المساواة التامة فيما يختص بالعبادات والواجبات الدينية. كذلك خصها الإسلام بالتكريم بوصفها أما ومنحها مكانة سامية فى الجنة كما جاء فى الحديث الشريف «الجنة تحت أقدام الأمهات».

- كذلك جاء فى القرآن الكريم كثير من الآيات ومن المصطلحات التى تؤكد التسوية بين الرجل والمرأة.. وتكليف المرأة بنفس ما كلف به الرجل فيما عدا ما يتنافى مع طبيعة المرأة وتكوينها الفيزيائى والبيولوجى مثل الجهاد فى سبيل الله حيث إن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين وأعفى الله سبحانه وتعالى المرأة من مسؤولية الجهاد.
- ومن هذه المصطلحات التى تؤكد التسوية بين الرجل والمرأة عبارات فيها ضبط قياسى وتطابق لغوى مثلما جاء فى الآية الكريمة: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٥] وكان يمكن الاكتفاء بجمع المذكر فقط حيث إنه من المعروف فى قواعد اللغة العربية أن جمع المذكر يشمل المذكر والمؤنث ولكن حرص الخطاب القرآنى على تكرار جمع المؤنث للتأكيد على أن النساء لهن مثل ما للرجال من أجر وثواب. وكذلك الآيات ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ و ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ هذا التطابق أو السيمتريا فى الآيات الكريمة ما هى إلا تأكيد على التكافؤ والتكامل بين الرجل والمرأة. ولقد عرف الله سبحانه وتعالى الرجل والمرأة فى كثير من الآيات الكريمة بأنهما الذكر والأنثى وقال ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [سور النجم الآية: ٤٥] ولم يقل الرجل والمرأة لأنه سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا أن العلاقة بين الجنسين علاقة تقابلية فالذكر هو الطرف المقابل للأنثى وبالالتقاء يكون التكامل بينهما.
- كما أن الخطاب القرآنى أكد على أن طبيعة المرأة من نفس طبيعة الرجل أى أنهما جاءا من بوتقة واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [سورة النساء الآية: ١] ونلاحظ هنا أن الخطاب القرآنى استخدم مصطلح رجال ونساء فى الجمع ولم يستخدم ذكر وأنثى؛ حيث إن الغرض من الآية هو التأكيد على العدد الكبير الناتج عن البث من النفس الواحدة التى خلقها.
- ونجد نفس السيمتريا التطابقية والحرص على تأكيد التسوية بين الرجل والمرأة فى مجال العبادات فى هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٥] للتأكيد على أن الله

سبحانه وتعالى يخاطب الرجال والنساء معا ويكرم الاثنين معا.. كذلك هناك الآية الكريمة التى تؤكد على أن رأى المرأة لا يقل عن رأى الرجل وأنها تشترك معه فى الأمر والنهى فى المجتمع الاسلامى﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [سورة التوبة الآية: ٧١].. وفى هذه الآية الكريمة تأكيد على أن المرأة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تماما مثلما يفعل الرجل وليس فقط فيما يختص بأمور النساء والأطفال ولكن فى كل الأمور المتعلقة بالدين والحياة والمجتمع والناس بدون أية تفرقة بينها وبين الرجل ولذلك استخدم الخطاب القرآنى الجمع المؤمنون والمؤمنات ولم يستخدم المفرد الذكر والأنثى، وكل هذه المعالم لشخصية المرأة المسلمة يلخصها لنا الحديث النبوى الشريف «النساء شقائق الرجال» والشقيق هو الأخ من الأب الذى يتساوى معك فى جميع الحقوق.

- وعبر التاريخ الإسلامى شاركت المرأة المسلمة مع الرجل جنبا إلى جنب فى الكفاح لنشر الإسلام والمحافظة عليه، فقد اشتركت المرأة المسلمة فى أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة وكذلك فى الهجرة إلى المدينة المنورة وخرجت مع الرجال فى الغزوات التى قادها الرسول ﷺ لنشر الإسلام واشتركت فى ميادين القتال ليس فقط لتمريض الجرحى بل للمقاتلة بالسيف أيضا بالرغم من أنها معفاة من الجهاد ومن حمل السلاح.
- والتاريخ الإسلامى يؤكد لنا أن أول شهيدة فى الإسلام هى امرأة تمسكت بالدين الاسلامى وبالتوحيد واستشهدت وهى تردد «أحد.. أحد» وهى الشهيدة سمية من آل ياسر رضى الله عنهم. كما اشتركت النساء فى مبايعة الرسول ﷺ والمبايعة أو البيعة معناها الانتخاب والتصويت طبقا لمصطلحاتنا الحديثة، فقد بايعت النساء المسلمات النبى ﷺ فى بيعتى العقبة الأولى والثانية طبقا لما ذكرته كتب السنة وعن رواية للصحابية الجليلة أميمة بنت رقيقة حيث قالت «جئت النبى ﷺ فى نسوة نبايعه فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن». وهذه المشاركة النسائية فى البيعة للرسول الكريم تعتبر إقرارا لحقوق المرأة السياسية طبقا لمصطلحاتنا اليوم؛ إذ أن بيعة العقبة تعتبر عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى فى يثرب.

كما أن الإسلام منح المرأة حق الذمة المالية قبل كل الحضارات الأخرى التى كانت تعتبر المرأة ملكا لزوجها يتصرف هو فى مالها بحرية وليس لها الحق فى مراجعته وكان هذا هو حال المرأة الغربية فى أوربا منذ القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر بينما المرأة المسلمة تمتعت بهذا الحق منذ ظهور الإسلام الذى كفل لها حق البيع والشراء وإبرام العقود دون أى تدخل من أى رجل سواء أكان أبا أم أخا أم زوجا أم ابنا. لقد ضمن الإسلام للمرأة حياة السعادة والتقدم إن هى التزمت خط الإيمان، وسلكت طريق العمل الصالح كالرجل تمامًا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النحل: الآية: ٩٧].

وأى عمل تقوم به المرأة لله تعالى فلا ينكر لها جزاؤه وثوابه، فعمل المرأة محترم كعمل الرجل عند الله لأنهما من مصدر واحد وعلى مستوى واحد: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [سورةآل عمران: الآية ١٩٥].

والمرأة شريكة الرجل فى الجنة كما هى شريكته فى دار الدنيا: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٤] أما عن عمل المرأة فى شرعنا، فالإسلام لا ينهى المرأة عن أى عمل، فلا يقول الإسلام إن من المحرمات على المرأة أن تصبح عاملة، أو مزارعة، أو تاجرة، فمن حق المرأة أن تقوم بما يقوم به الرجل فى العمل والزراعة والتجارة شريطة أمر واحد هو الحفاظ على كيانها إنسانة. فالإسلام ينهى عن التعرّى، والكشف عن أنوثة المرأة، ولا ينهى عن العمل، وكلنا نعرف أن خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كانت صاحبة أملاك، وكانت تاجرة كبيرة، ومعرفتها بالرسول ﷺ كان عن طريق تجارتها، حيث عمل النبى ﷺ لديها. فالمرأة تستطيع أن تعمل، وفى عهد رسول الله ﷺ كانت المرأة تعمل، وقد أوصى النبى ﷺ المرأة أن تعمل فى الحياكة، حيث قال: (علموهنّ المغزل).

فإذا حافظت المرأة على نفسها فلا مانع من أن تتوظف، أو تعمل فى أى مكان. إن الإسلام يوجب العمل على الرجل، والمرأة، ، ولكن يجب الإشارة إلى أن المرأة لا تتحمل عمل الرجل، فهى تعيش من ثلاثة أيام إلى عشرة أيام كل شهر مريضة، جسمانيا ونفسيا وهى أيام الدورة الشهرية، وتكون ثقيلة الحركة فى أيام الحمل، وتكون مرتبطة بالولد فى

أيام الرضاعة.. وهكذا فيجب مراعاة ظروفها فى العمل فى مثل هذه الحالات، فالتغيرات الفسيولوجية فى جسم المرأة تصحبها تغييرات سيكولوجية تجعلها تشعر أيام الدورة الشهرية بالحساسية والكآبة وتكون سريعة التأثر لأقل شىء من أقربائها فكيف بالغرباء عنها.. وأليس من الظلم أن تقوم المرأة بأعمال لا تتناسب مع تكوينها الجسمانى والروحى؟

من هنا نرى الإسلام – مع تأكيده على العدالة – يجعل الرجل مقدّما فى بعض الأمور مثل الإشراف على الأسرة.. ويدع للمرأة مكانة المساعد فيها.

فالعائلة والمجتمع بحاجة إلى مدير، ومسألة الإدارة فى آخر مراحلها يجب أن تنتهى بشخص واحد، وإلا ساد الهرج والمرج. فمن المفضّل لهذه المسؤولية الرجل أم المرأة؟

كل الحسابات البعيدة عن التعصب تقول: إن الوضع التكوينى للرجل يفرض أن تكون مسؤولية إدارة الأسرة بيده، والمرأة تعاونه، ففى قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤]، يعنى: إن الرجل قيّم على المرأة فيما يجب لها عليه، فأمّا غير ذلك فلا، ويقال: هذا قيم المرأة وقوامها.

ولئن جعل الله ذلك للرجال، فلفضلهم فى العلم، والتمييز، ولإنفاقهم أموالهم فى المهور، وأقوات النساء (معانى القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/ ٤٦).

وليس هناك قاعدة لذلك فى تولى المناصب؛ حيث الكفاءة والتأهيل والعلم هم الأساس فمن تتوافر لديه المقومات السليمة للإدارة والعمل القيادى يستحق أن يكون فى المقدمة سواء كان رجلا أم امرأة، فكم من رجل لايستطيع أن يتخذ قرارا وكم من امرأة تدير مؤسسات ضخمة وتحقق نجاحات كبيرة..

مكانة المرأة فى الإسلام.. من أهم القضايا التى يهتم بها الغرب

وتقييم مكانة المرأة فى الإسلام يعتبر من أهم القضايا الحساسة التى يهتم بها أهل الغرب، وقد تناول كثير من الفقهاء والعلماء والمستشرقين قضية المرأة فى كتابات مطولة، واختلفوا اختلافا كبيرا فى كثير من الأمور مما جعل أعداء الإسلام يتخذون من تناقض الآراء ذريعة ينتقدون من خلالها الإسلام والمسلمين ويتهمونهم بالتفرقة بين المرأة والرجل (التمييز على أساس الجنس) ويتهمونهم باعتبار المرأة مخلوقا ناقصا لا يتساوى مع الرجال فى الحقوق وبعدم تطبيق المساواة مما يتعارض مع الميثاق العالمى لحقوق الإنسان. [٢]

فى الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم ظلمت المرأة ظلما مبينا حين استقبلت الأنثى بتجهم وحين اجتاحت حقوقها بلا اكتراث، وقد لجأ أفراد شواذ فى الأمة العربية إلى وأد الطفلة عندما تولد! وهو تصرف وحشى! مستنكر. وما نشك فى أنه عمل فردى رفضه أولو الألباب وحقروا مقترفيه، أما جمهرة العرب فى الجنوب والشمال فقد صور موقفهم من الطفولة كلها قول الشاعر:

لــولا بنيــات كــزغـب القطـا ... رددن مــن بعـض إلـى بعــض
لكــان لــى مضطــرب واســع ... فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا ... أكبـادنـا تمشــى علــى الأرض

والواقع أن جمهرة العرب كانت شديدة الغيرة على النساء تسترخص الدماء فى الدفاع عنها، وتمنحها الفرصة لتكون كريمة عظيمة! كان المنذر اللخمى ملك الحيرة أنجب بنتا اسمها حرقة وابنا اسمه حريق! ودارت الأيام وفقد المنذر مملكته، وانتقلت الأسرة من حال إلى حال، فقالت حرقة فى ذلك:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحـن فيهـم سوقة نتنصف!
فــالـدنيــا لا يــدوم نعيمهـــا! ... تقلــب تــارات بنـا وتصـرف!

فلما فتح سعد بن أبى وقاص أرض الفرس، أتته حرقة بنت النعمان مع عدد من جواريها تطلب منه العون، فنظر إليهن وسأل: أيتكن حرقه؟ قلن: هذه، وأشرن إليها! قال لها أنت حرقة. قالت: نعم، فما تكرارك الاستفهام؟ إن الدنيا دار زوال، وإنها لا تدوم على حال. إنا كنا ملوك هذا المصر من قبلك، يجىء إلينا خراجه، ويطيعنا أهله زمان دولتنا. فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا وشتت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد! إنه ليس من قوم بسرور وجدة إلا والدهر معقبهم حسرة، وكررت بيتيها السابقين.فأكرمها سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه قالت له: لا أنصرف عنك حتى أحييك بتحية ملوكنا: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زال لكريم عندك حاجة! ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردها عليه.! فلما خرجت من عنده تلقاها نساء البلد، فقلن لها: ما صنع بك الأمير؟ قالت: حاط لى ذمتى، وأكرم وجهى! إنما يكرم الكريم الكريم.. انظر عقل هذه الأميرة السابقة وأدبها وحكمتها وكيف حاورت

سعد بن أبى وقاص القائد الفاتح المنتصر، فنالت تقديره وإكرامه.. وددت لو أن المثقفات العربيات كن على هذا المستوى، فنلن إعجاب واحد من العشرة المبشرين بالجنة. إن المرأة تعظم بعلمها الواسع وبيانها الحكيم وسيرتها الماجدة. إن الجاهلية العربية الأولى كانت أشرف من جاهليات اليونان والرومان، لاسيما فى الوضع الاجتماعى للمرأة! ويبدو أن هذا الاستكثار يعود إلى سوء ظننا بأنفسنا وحاضرنا وماضينا بعد الهزائم الحضارية المهينة التى لحقت بنا فى العصور الأخيرة وصدق المثل السائر: إن الدنيا إذا أقبلت على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه..! صحيح أن الإشراك بالله كان قاسما مشتركا بين هذه الجاهليات كلها، «فهبل» الإله الكاذب عند العرب و «أوبولو» الإله الكاذب عند اليونان! وليس أحد الفريقين أولى بالتسفيه من الآخر. أما النظرة إلى المرأة، والتشرف بصونها والاستقتال فى حمايتها فخلق عربى لا يكاد الرومان أو اليونان القدامى يعرفون شيئا عنه!! وتدبر قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

علـى آثـارنا بيض حسان نحـاذر أن تقسم أو تهونا
إذا لـم نحمهـن فـلا بقينا لشىء بعدهن ولا حيينا..

أين هذا من قول لشاعر اليونانى «سيموندس الأمورجى» جعل الله عند الخلق طبائع النساء مختلفة، فجاءت إحداهن كأنما أخرجها الله من نزير، وأخرى كأنما أخرجها الله من ثعلبة ماكرة وثالثة كأنها الكلبة حركة ونشاطا، فهى تجوس أركان المكان فاحصة متطلعة، فإن لم تجد شيئا أطلقت لسانها بالسوء!! قد تقول هذا شاعر أحمق لا يؤخذ من كلامه حكم عام! ونقول: لنترك أقوال هذ الشاعر وأمثاله وهم كثير فماذا نقول فى أفلاطون الفيلسوف الأشهر، وفى مدينته الفاضلة؟ لقد جعل النساء آخر طبقات المجتمع وتركهن كلا مباحا على الشيوع بين طبقة الحكام والفرسان!!، فإن تكن هذه معالم المدينة الفاضلة فما تكون معالم المدينة النازلة؟. أما الرومان فإن مكانة الأنثى لديهم منحطة بطبيعتها، وليست لها الحقوق المقررة للرجال، ولما كانت القوانين الأوربية تمت بنسب وثيق إلى الرومان الأوائل، فإن القانون الإنكليزى حتى القرن الثامن عشر كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته! ولم يتدخل القانون إلا فى تقدير السعر الذى يمكن أن تباع به.. ولا يزال القانون الفرنسى يجعل تصرفات الزوجة المالية تابعة لمشيئة الزوج!. إن الإسلام وحده هو الذى صان شخصية المرأة ورد كل عدوان عليها

وفق قاعدته : ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾. والذى يحز فى نفسى أن جمهورا من المتدينين الجهلة فى بلادنا تبنى مفاهيم الجاهليات اليونانية والرومانية وغيرها وقرر أن يحيا فى نطاقها، وزاد إلى هذه السفاهة أن قرر الدعوة إليها بحسبانها مفاهيم إسلامية. كيف نحمى الإسلام من أصدقائه الجهلة؟ فهم أضرى عليه من أعدائه السافرين.ويتهم بعض المسلمين بعض المهتمين بحقوق المرأة بأن اهتمامهم مصدر شر وإساءة للمرأة وحياتها وكرامتها، رغم أن البعض الآخر يريد بها خيرا وتكريما وإجلالا، حيث يتهمون المجتمع الغربى فى المقابل بأنه يتخذها سلعة ومتعة وإقامة علاقته معها على أساس من الانتفاع والاستمتاع والمصلحة العابرة – بخلاف البعض الآخر الذى يريدها شريكة حياة و«رفيقة درب» فيقيم حياته معها على أساس من المودة والاحترام المتبادل والمسؤولية المتكاملة والمنصفة بينهما فى ميادين الحياة. [١]

ويؤكد بعض المفكرين بوجود صراع ومواجهة بين الخير والشر بشأن مكانة ومسؤولية المرأة، وفيما يلى نموذجين لحالة صحوة الضمير بشأن المرأة والأسرة والمجتمع :

• **من التجربة الماركسية الشيوعية:** يقول جورباتشوف فى كتابه «بيريسترويكا» :

«طيلة سنوات تاريخنا البطولى والمتألق، عجزنا أن نولى اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة، واحتياجاتها الناشئة عن دورها بوصفها أم وربة منزل، ووظيفتها التعليمية التى لا غنى عنها بالنسبة للأطفال.. إن المرأة إذ تعمل فى مجال البحث العلمى.. وفى مواقع البناء.. وفى الإنتاج والخدمات.. وتشارك فى النشاط الإبداعى.. لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية فى المنزل – العمل المنزلى – وتربية الأطفال.. وإقامة جو أسرى طيب.. لقد اكتشفنا أن كثيرًا من مشاكلنا – فى سلوك الأطفال، والشباب، وفى معنوياتنا، وثقافتنا، وفى الإنتاج – تعود جزئيًا إلى تدهور العلاقات الأسرية.. والموقف المتراخى من المسؤوليات الأسرية».

إلى أن يقول:

«والآن فى مجرى البيريستوريكا.. بدأنا نتغلب على الوضع.. ولهذا السبب نجرى الآن مناقشات حادة فى الصحافة.. وفى المنظمات العامة.. وفى العمل والمنزل.. بخصوص مسألة ما يجب أن نعمله لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة). إلى أن يقول: (إن عصب طريقة التفكير الجديدة، يتمثل فى الاعتراف بأولوية القيم، ولنكون أكثر دقة، فإن الاهتمام بالقيم هو من أجل بقاء البشرية».

• **من التجربة الليبرالية:** يقول جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق:

«إن أزمة القيم الراهنة تعود إلى الستينيات حيث بدأت النسبية الثقافية والإباحية الأخلاقية، والاستعداد لإلقاء اللوم على المجتمع فيما يتعلق بسلوك الأفراد.. لقد بدأت أمريكا تجربتها المشؤومة فى الإباحية الاجتماعية قبل ثلاثين عاما، وقد يتطلب نقد هذه العملية ثلاثة عقود أخرى» [٣]. وفى مقالة ثانية له نشرت فى جريدة الشرق الأوسط فى عددها (٥٧٣٠) تاريخ ١٠ / ٧ / ١٩٩٤م بترخيص من خدمة (لوس أنجلس تايمز).

«إن الإباحية الاجتماعية أفرزت لنا أجيال غير مسؤولة، تحولت إلى الجريمة، ففى أمريكا كل خمس دقائق تقع ثلاثة جرائم (جريمة قتل، وجريمة سرقة، وجريمة اغتصاب)، فلا تستغرب أيها القارئ الكريم إذا علمت أن هذه الجرائم قد وقعت بالفعل.. إن الجريمة اليوم تكلفنا باهظًا.. إننا ننفق على مكافحة الجريمة سنويا ما يزيد عن ٨٠ مليار دولار.. وتضيف لإساءة استخدام الثروة والفساد الاجتماعى بلايين أخرى لا تحصى.. ولكن الثمن الإنسانى الذى يدفع موتا وتدميرا لحياة الإنسان، وآمالا محبطة هو أغلى بكثير، ويقع بتفاوت مرير على قلة حصانتنا».

ويختتم كلامه قائلا:

«إن المسؤولية الشخصية هى ما يجعلنا شعبا قويا، أما الاستمرار فى أزمة القيم فسيحولنا إلى شعب ضعيف».

تقول خبيرة الجنس الفرنسية ذائعة الصيت: هيلين ميشال، موجهة كلامها إلى بنات جنسها: إذا أغروك بالعمل فى المصنع والعمل بشكل سافر، حيث يوفر لك قدر أكبر من المال الخاص لشراء حاجيات الأولاد، وحاجياتك أنت فلا تصدّقيهم.

إن المقصود ليس حصولك على المال، فهذا الأمر لا يهم الآخرين، ولكن المقصود حصولهم عليك. تذكّرى: إن ٨٠٪ من العاملات فى المصانع والمعامل فى الولايات المتحدة يشعرن بقرف شديد من العمل، لقد اكتشفن الحقيقة.

وتذكّرى أيضا: إن الحرية، والتقدم الاقتصادى، والمراكز العالمية التى حصلت عليها المرأة فى فرنسا، لم تمنع عنها المشاكل الحادة، ولم تحسّن وضعها، ولم تجعل منها النصف الملائم لقيادة سفينة الحياة.

ويقول الدكتور ألكسيس كاريل، الحائز على جائزة نوبل فى العلوم، متحدّثا عن طبيعة مكوّنات المرأة وتأثيرها على عملها: (إن الأمور التى تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدّد فى الأشكال الخاصة بأعضائها التناسلية ولا تتحدّد أيضا فى اختلاف تربيتها، وإنما تتحدّد بسبب أعمق من ذلك، لأن هذه الفوارق هى ذات طبيعة أساسية تنشأ من اختلاف نوعية الأنسجة فى جسم كل من الرجل والمرأة، فالمرأة تحمل فى كل جزء من جسدها، تأثير المواد الكيمياوية ومفرزات الغدد التناسلية والذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة ويدعون إلى توحيد نوعية التربية والتعليم والوظائف بينهما، يجهلون جهلا كاملا هذه الفوارق، وهى فوارق أساسية من غير ترديد، لأن المرأة فى الواقع تختلف عن الرجل كل الاختلاف؛ فكل خلية من جسمها تحمل طابعا خاصا هو الطابع الأنثوى، وهكذا تكون أعضاؤها المختلفة، بل أكثر من ذلك هو حال نظامها العصبى. ويضيف قائلا: إن قوانين وظائف الأعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك والرياضيات، ولا يمكن إحداث أى تغيير فيها بمجرّد أن الأمنيات البشريّة تريد هذا التغيير، وعلينا أن نسلم بها كما هى، دون أن نسعى إلى ما هو غير طبيعى. فعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن الفطرية، وأن يبتعدن عن تقليد الرجال تقليدا أعمى، فدورهن فى تقدم الحضارة أعلى من دور الرجال، ولا يجوز لهن أن يتخلين عنه، ويقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (قضايا المرأة) كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازددت معرفة بما كان للمرأة من مكانة، وبما كفله الإسلام لها من حقوق، لقد كانت لها شخصية مقدورة وأثر يحسب! يقول المحدثون: لما نزل قول الله لنبيه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، صعد رسول الله ﷺ الصفا ونادى: «يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا، سلانى من مالى ما شئتما». إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شىء مستنكر فى عصرنا الأخير، كنا نعدها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف! ونقول: ما للمرأة وهذه الشؤون؟ يكفى أن يحضر رجل من أسرتها ليبلغها، أما أن تنادى على رؤوس الأشهاد فذلك عيب! .لكن المرأة فى صدر الإسلام عرفت قدرها، ولما سمعت مناديا يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيته، ويحكى المؤرخون أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام، لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة فقالت له: يا عمر إن الحق فى غير دينك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمدا رسول الله،.! ثم أسلم عمر بعد!! ودخل الرجال والنساء فى دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والذود عنه، وانتظمت الصفوف فى المسجد النبوى تستوعب الرجال والنساء على سواء. روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: «ما أخذت» «ق والقرآن المجيد» إلا من لسان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر فى كل جمعة. أى أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهى تسمع الخطبة! وكانت سنة رسول الله فى الخطابة أن يتلو القرآن الكريم وحسب! وهى سنة مهجورة الآن، كما أن من السنن المهجورة! حضور النساء الجمع والجماعات.. ألا يثير ذلك شيئا من التساؤل والدهشة؟. ومن الطرائف أن امرأة كريمة موسرة كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من شاء، روى البخارى عن سهل بن سعد قال: كانت منا امرأة تجمل فى مزرعة لها «سلقا» فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنتزع أصول السلق فتجعله فى قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه برقه قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، ولم يكن فى الطعام لحم ولا دهن.. هذه امرأة مؤمنة سمحة تدخل السرور على الناس بما آتاها الله من فضله! ولو فعلت ذلك فى عصرنا لأنكر المتزمتون عليها! ولقال كل جرىء على الفتوى: كيف يلقى عليها السلام؟ وكيف ترده؟ وكيف تلقى الضيوف؟ إلخ، إن تقاليد المسلمين فى معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة.، وقد نشأ عن ذلك أن المثقفات فى العصر الحديث تجهمن للتراث الدينى كله يحسبنه السبب فى تجهيل المرأة وهضم مكانتها، وإنكار حقوقها المادية والأدبية التى قررتها الفطرة وأكدها الوحى وبرزت أيام حضارتنا واستخفت مع انتشار القصور وغلبة الأهواء.إن محاولة محو الفروق الطبيعية بين الجنسين لون من العبث، والتفاوت الذى يستحيل محوه هو التفاوت العلمى وما تستند إليه الشخصية الإنسانية من ملكات وقيم، وفى هذا المجال قد تسبق نساء بجدارة وقد يسبق رجال.. ومن هنا يتضح كيف أنصف الإسلام الصحيح المرأة وحافظ عليها وعلى حريتها وكرمها فتاة وأم وزوجة ووفر لها الحماية الدينية و الدنيوية بما يحقق لها الكرامة والسعادة..

المصادر

١ – كتاب: الإسلام.. وتكريم المرأة (ISBN 9960 – 47 – 800 – 9) تأليف: الدكتور حامد الرفاعى – الناشر: مؤتمر العالم الإسلامى ١٤٢٦هـ.
٢ – كتاب: مكانة المرأة فى الإسلام: الدكتورة فوزية العشماوى – جنيف.
٣ – مقالة لكارتر نشرتها جريدة الشرق الأوسط فى عددها (٥٧٣٠) تاريخ ١٠ / ٧ / ١٩٩٤م بترخيص من خدمة (لوس أنجلس تايمز).
٤ – قضايا المرأة: الشيخ محمد الغزالى، مكتبة المصطفى الإلكترونية.

❑❑❑

نماذج نسائية أضاءت الحياة

فإذا استعرضنا تاريخ الأمم المسلمة سنجد نماذج وصور لنساء خالدات عبر التاريخ:

- **السيدة حواء:** خلقها الله تعالى لتكون سكن لسيدنا آدم بعد أن شعر بالوحدة فى الجنة.. وهى بريئة من كل التهم التى ألصقت بها من كل الديانات الأخرى والتى حملتها مسؤولية خروج آدم من الجنة.. أما القرآن فكان خطابه لآدم و حواء على السواء بل ووضع المسؤولية على آدم لأنه الرجل.. ورأينا كيف أحبها آدم وعاشا سويا أكثر من تسعمائة عام وعمرا الأرض سويا وأنجبوا الذرية المؤمنة وزرعوا معا أول بذور الإيمان والإسلام فى الأرض..
- **السيدة سارة:** زوجة سيدنا إبراهيم ثبتت معه على الإيمان والتوحيد بالرغم من تكذيب كل الناس له.. وهاجرت معه لنشر الدين ورأينا كيف نجاها الله من يد فرعون مصر بكرامات لا يعطيها الله إلا لإنسانه مؤمنة و موصولة بالله.. ثم رأينا كيف صبرت على عدم الإنجاب حتى كافأها الله وهى فى التسعين من عمرها وأنجبت سيدنا إسحاق ورأت حفيدها سيدنا يعقوب فى حياتها.
- **السيدة هاجر:** زوجة سيدنا إبراهيم والتى أنجب منها سيدنا إسماعيل ورحل بها إلى مكة وكانت أرض صحراء لا زرع بها ولا ماء وتركهم هناك...فقالت له (آلله أمرك بهذا؟) فقال لها (نعم).. فقالت له (إذن فلن يضيعنا).. انظر إلى يقينها وثقتها الشديدة بالله وقوة إيمانها واستسلامها لأمر الله.. ويكفى أننا نتذكرها حتى الآن ونحن نحج بيت الله أو نعتمر عند السعى بين الصفا والمروة ونتذكر سعيها فى طلب الماء لابنها الرضيع وعندما نشرب من زمزم نتذكر كيف أن الله كافأها على صبرها وسعيها.. وأيضا تضرب لنا السيدة هاجر مثلا رائعا فى ثباتها وتنفيذها لأمر الله ومجاهدتها للشيطان عندما هم سيدنا إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل تنفيذا لأمر الله له وكيف ظهر الشيطان للسيدة هاجر فى صورة رجل ليحنن قلبها على ابنها لكيلا تنفذ أمر الله وكيف أنها رجمته بالحصى.. ونتذكر ذلك عند رمى الجمرات فى منى حتى الآن فى مناسك الحج.
- **السيدة أم موسى:** رأينا كيف أوحى لها الله أن تضع وليدها فى صندوق وتقذفه فى اليم فأطاعت الله ونفذت أمره وألهمها الله الصبر وربط على قلبها حتى بعد أن التقطه حرس فرعون وجنوده فأعاده إليها لترضعه فى قصر فرعون.

- **آسيا بنت مزاحم:** امرأة فرعون كرمها الله فى القرآن و كرمها النبى فى حديثه بأن قال (كمل من النساء أربع منهن آسيا زوجة فرعون) والتى رفضت متاع الدنيا وزينتها ووقفت فى وجه فرعون وآمنت بالله وتحملت العذاب قى سبيل الله وثبتت على موقفها وسألت الله أن يبنى لها عنده بيت فى الجنه فنالت الشهادة ورأت بيتها فى الجنة عند موتها فابتسمت قبل أن تفارق الحياة.
- **ماشطة بنت فرعون:** كيف ثبتت على إيمانها وتوحيدها لله وتحدت فرعون وكيف صبرت على قتل أبنائها الخمسة حرقا فى الزيت المغلى أمام عينيها ولم تقل كلمة الكفر وأنطق الله ابنها الرضيع ليثبتها حتى استشهدت فى سبيل الله مع أولادها.. وفى رحلة المعراج الخالدة شم الرسول ريحها الطيبة فى الجنة..
- **زوجة سيدنا موسى:** وكيف صورها الله فى القرآن بقوله تعالى ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ فكانت مثلا للحياء واختارت أن تتزوج سيدنا موسى لأنه قوى وأمين رغم أنه لايملك شيئا..
- **زوجة سيدنا أيوب:** ورأينا كيف صبرت معه على الضراء والفقر وكيف كانت تخدمه وهو مريض وكيف وقفت بجانبه حتى اشتغلت كخادمة فى البيوت واضطرت لقص شعرها وبيعه لتنفق على البيت حتى رفع الله عنهم البلاء وعوضهم بأحسن مما كان عندهم قبل الشدة..
- **امرأة عمران:** والتى ذكرها الله فى القرآن كيف نذرت ما فى بطنها خالصا لله ليكون خادما للمسجد فكافأها الله بالسيده مريم ثم سيدنا عيسى..
- **السيدة مريم:** العذراء خير نساء العالمين ورأينا كيف كرمها القرآن وذكر لنا الله عفتها وطهارتها ونقاءها وعبادتها وتبتلها لله وكان الله يرسل لها بالفاكهه فى غير أوانها وأجرى الله معجزة ورزقها بمولود بغير أب وهو سيدنا عيسى وتكلم فى المهد لكى يرد على اليهود الذين اتهموها..
- فى قصة أصحاب الأخدود هناك قصه شبيهة بقصة ماشطة بنت فرعون فأيضا هناك امرأة كانت تحمل طفلا رضيعا وكانت سترمى فى النار فأنطق الله رضيعها ليثبتها على الحق واستشهدت فى سبيل الله..

وأما فى أمة **الحبيب محمد** فالنماذج كثيرة ولاتحصى ولنرى كيف حملت المرأة الدين على عاتقها:

- **السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها:** كانت تسمى الطاهرة وكانت صاحبة مال وجمال وحسب ونسب وكانت تدير تجارة وكانت شديدة الذكاء وكانت تتسم بالعفة والطهر ولم تسجد لصنم قط فى الجاهلية وقد اختارت النبى ﷺ زوجا لها بالرغم من أنه لم يكن يمتلك شيئا ولكنه كان الصادق الأمين فكان زواجا مثاليا وكانت أعظم قصة حب عرفها التاريخ.. السيدة خديجة كان لها دور كبير مع النبى فى مساندته فى بداية الدعوة ووفرت له الجو المناسب ليقوم بدعوته فى ظل الإيذاء الشديد من قريش.. وهى أول من دخل فى الإسلام وأول من سجد لله.. وصبرت على موت ولديها القاسم وعبد الله (والطاهر فى بعض الروايات) كما أنها ربت على بن أبى طالب وزيد بن حارثة بين أولادها دون تفرقة.. وصبرت على فراق ابنتيها رقية وأم كلثوم عندما هاجرا إلى الحبشة هربا من إيذاء قريش.. السيدة خديجة دخل الإسلام على يديها الكثير من النساء.. وكانت السند والعون والصدر الحنون للرسول ﷺ فى أصعب فترات الدعوة بمكة.. وصبرت عند محاصرة الكفار للمسلمين فى شعب أبى طالب وجاهدت بمالها فى سبيل الله.. وعندما جاءها الموت أرسل الله سيدنا جبريل إلى النبى يقول له (إن الله يقرئ خديجة السلام ويبشرها بقصر فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب).. وهذا أعظم تكريم لهذه المرأة العظيمة.. وليعلم الجميع قدرها..وظل النبى على حبه الشديد لها وكان دائم الذكر لها ولأيامها و ذكرياتها حتى وفاته ﷺ.. حقا أعظم قصة حب فى التاريخ..
- **السيدة عائشة رضى الله عنها:** كانت على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة بالرغم من صغر سنها ورصد لكل حركات النبى وسكناته فجعلها الله سببا فى نقل معظم أحاديث النبى وعاداته وعباداته داخل البيت و خارجه واختارها الله لكى تنقل لنا الدين وتعلم الأجيال سنة النبى وتثبيتها بعد وفاته وكانت تسمى فقيهة الأمة وقد عرفنا من خلالها كل خصوصيات النبى وعرفنا منها فقه المرأة المسلمة وقد أوصى الرسول بأن نأخذ أحاديثه منها.. وقد نزلت الآيه الخاصة برخصة التيمم فى عدم وجود الماء بسبب السيدة عائشة عندما خرجت مع الرسول فى إحدى الغزوات ولم تجد ماء للوضوء..ومن الجدير بالذكر أن النبى عندما جمع الجيش لفتح مكة لم يخبر أحد أنه متجه إلى مكة لأنه لا يريد قريش أن تعلم حتى لا يحدث قتال فخرج الجيش وهو لا يعلم أين يتجه

ولم يخبر النبى أحد إلا السيدة عائشة لثقته بها وعلمه أنها تكتم الأخبار فكان لها دور فى السياسة أيضا.. السيدة عائشة عندما ابتليت واتهمت ظلما فى حادثة الإفك نزلت براءتها من فوق سبع سموات بقرآن وآيات تتلى إلى يوم القيامة.. ونرى أيضا إيثارها لسيدنا عمر فى أن يدفن بجانب النبى بدلا منها.. وكانت بعد ذلك تستحى أن تخلع ثيابها فى الحجرة المدفون بها عمر.. السيدة عائشة كانت تعطر الدراهم قبل أن تتصدق بها لأنها تقع فى يد الله قبل يد الفقير.. رحم الله السيدة عائشة رضى الله عنها.

- **السيده أم سلمة:** صبرت على فراق ابنها الصغير قبل الهجرة ثم صبرت على وفاة زوجها أبو سلمة حتى كافأها الله بالزواج من النبى وكان لها دور سياسى خطير فى صلح الحديبية عندما أحس المسلمون بأن بنود الصلح كان بها إجحاف لهم وأنهم لن يعتمروا هذا العام فلم يطيعوا الرسول ويتحللوا من الإحرام فدخل الرسول خيمته وطلب من السيدة أم سلمة أن تشير عليه ماذا يفعل فأشارت عليه بأن يبدأ بنفسه ويتحلل من الإحرام وعندئذ سيضطر الجميع إلى التحلل من الإحرام....لقد حلت المشكله ببساطة شديدة..
- **السيدة حفصة:** كانت تسمى الصوامة القوامة من كثرة عبادتها.. وقد تم حفظ النسخة الأولى من القرآن والتى جمعت فى عهد أبى بكر فى بيتها بعد وفاة سيدنا عمر بن الخطاب وسميت بحارسة القرآن..
- **السيدة جويرية بنت الحارث:** أسلم كل قومها بإسلامها وزواجها من النبى ﷺ.
- **السيدة زينب بنت جحش:** بنت عم النبى زوجها الله للنبى من فوق سبع سموات لمنع التبنى فى الإسلام بعد أن كانت متزوجة من زيد بن حارثة.. وكانت كثيرة الإنفاق فى سبيل الله.
- **السيدة سودة بنت زمعة:** بسببها رخص النبى فى إمكان القيام بطواف الإفاضه أثناء الإقامة بمنى فى الحج..
- **السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان:** زعيم قريش أسلمت وتركت أهلها وهاجرت إلى الحبشة مع غيرها من النساء المهاجرات مثل السيدة رقية و السيدة أسماء بنت عميس..
- **السيدة صفية بنت حيى بن أخطب:** زعيم اليهود تحملت اضطهاد والدها وأخفت تعلقها بالإسلام حتى كافأها الله بزواجها من النبى ﷺ..

- **السبب فى إسلام عمر بن الخطاب كانت أخته فاطمة بنت الخطاب.** السبب فى إسلام عثمان كانت عمته وكانت تخفى إسلامها ودلته على طريق أبى بكر الذى أسلم على يديه..
- أول شهيد فى الإسلام كانت امرأة **وهى السيدة سمية أم عمار بن ياسر وبشرها** النبى بالجنة..
- **السيده نسيبة بنت كعب:** (أم عمارة) كان لها دور كبير فى الجهاد مع النبى فى غزواته وكانت تحمل السلاح وتحارب وخاصة فى غزوة أحد فى الدفاع عن النبى وأصيبت فى كتفها حتى قال لها النبى (من يتحمل ما تتحملين يا أم عمارة).. واستشهد ابنها بعد ذلك على يد مسيلمة الكذاب وكان لها دور كبير فى قتل مسيلمة..
- أول شهيد على أرض قارة أوربا كانت **السيدة أم حيرام بنت ملحان** فى فتح قبرص وقد تنبأ لها النبى بذلك فى حياته..
- **أغلى مهر فى التاريخ كان للسيدة أم سليم بنت ملحان:** عندما أراد أبو طلحة أن يتزوجها قبل إسلامه فقالت (له مهرى هو إسلامك) فأسلم وتزوجها وكان أغلى مهر فى التاريخ..
- **السيده صفية بنت عبد المطلب:** عمة النبى ربت ابنها الزبير بن العوام على الجهاد فكان خير المقاتلين وكان لها دور كبير فى الدفاع عن بيوت المسلمين أثناء غزوة الخندق عندما أراد اليهود أن يتسللوا إلى الحصن الذى به بيوت نساء المسلمين فى غياب الرجال فقتلت اليهودى الذى تسلل ودخل الحصن وقطعت رأسه ورمتها على باقى اليهود فظنوا أن هناك جيشا مسلما كاملا داخل الحصن..
- **السيده أسماء بنت أبى بكر:** ذات النطاقين ودورها فى هجرة النبى مع أبيها أبى بكر وكيف كانت تعلم مكانهم ولم تخبر أحد وتحملت الأذى من أبى جهل وكانت توصل لهم الطعام وتحمله لمسافات طويلة فى الصحراء وهى حامل فى الشهر السابع وعمرها ثلاثة وعشرون عاما.. وكانت كثيرة العبادة.. كثيرة الإنفاق فى سبيل الله.. وربت ابنها عبدالله بن الزبير على الجهاد فكان خير المجاهدين..
- **السيدة أم هانىء:** ودورها السياسى فى فتح مكة عندما أهدر الرسول دم أحد الكفار وأمر بقتله ولكنه استجار بالسيدة أم هانئ فأعطته جوارها.. فقبل النبى ذلك و قال لقد أجرنا من أعطيتيه جوارك يا أم هانئ.. وكان ذلك سببا فى إسلام الرجل..

- **السيدة فاطمة:** بنت النبى وزوجة الأمام على.. كانت أحب الناس أجمعين للنبى.. لأنها كانت أشبههم بالنبى خلقا واقتداء به فى كل شىء.. وقد ذكرها النبى فى حديثه (كمل من النساء أربع ومنهن فاطمة بنت محمد).. وهى أم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة..
- **السيدة زينب:** بنت النبى كان لها دور عظيم فى إسلام زوجها أبو العاصى عندما ظل كافرا مدة طويلة وظلت تدعوه إلى الدين حتى بعد الهجرة عندما هاجرت وتركته ظلت صابرة حتى أتى إلى المدينة فأجارته وظلت تدعوه حتى أسلم.
- **السيدة خولة بنت ثعلبة:** نزل فيها قرآنا فى سورة المجادلة عندما كانت تشتكى زوجها للنبى..
- **السيدة رفيدة:** كانت أول ممرضة وطبيبة فى الإسلام وكانت تخرج مع المسلمين فى الغزوات لتمرض جرحاهم وأمرها النبى أن تنصب خيمتها فى المسجد لعلاج سيدنا سعد بن معاذ عندما أصيب فى غزوة الخندق..
- **الخنساء:** ودورها فى الجهاد وكيف قدمت أربعة من أولادها ليجاهدوا ويستشهدوا فى سبيل الله فى يوم واحد فى معركة القادسية أمام الفرس..
- **السيدة خولة بنت الأزور:** ودورها فى القتال فى معركة اليرموك أمام الروم عندما حاربت وهى ملثمة فظنها الناس أنها خالد بن الوليد.
- **حتى هند بنت عتبة:** بعد أن أسلمت وحسن إسلامها كان لها دور كبير فى إلهاب حماسة الجيش فى معركة اليرموك.. كما كان لها دور فى العمل وكانت أول امرأة تقترض من بيت المال لإقامة المشروعات الاقتصادية.
- فى أحد أيام الخليفة عمر بن الخطاب قام خطيبا فى الناس وذلك ليحدد المهور فى الزواج فقاطعته امرأة أثناء الخطبة وجادلته واستشهدت بآية من القرآن.. فقال عمر (أصابت امرأة وأخطأ عمر)..
- **ابنة بائعة اللبن:** التى رفضت أن تخلط اللبن بالماء فزوجها سيدنا عمر لابنه عاصم وجاء من نسلهم عمر بن عبد العزيز.
- **فاطمة زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز:** كيف تركت المال و الثراء و الرفاهية وعاشت معه حياة الزهد الشديد.

- عند نزول آية الحجاب قامت النساء يشق ملابسهن لعمل الخمار والتنفيذ فى الحال.
- كان النبى يجعل للمرأة دورا كبيرا فى الغزوات..
- النبى قام بغزوة كاملة وطرد يهود بنى قينقاع من المدينة من أجل امرأة..
- الخليفه المعتصم قام بفتح عمورية بسبب استنجاد امرأة مسلمة به عندما حاول اليهود كشف عورتها عندما قالت (وامعتصماه).
- رأينا كيف كان للمرأة دور فى الدعوة إلى الله وفى الجهاد وفى السياسة وفى العلم وفى العمل وفى العبادة وفى تربية الرجال.. فكان أول من أمن بالله امرأة وأول من سجد لله امرأة وأول شهيد امرأة.
- عندما قال الرسول ﷺ إن (المرأة خلقت من ضلع أعوج) كان يقصد أن المرأة تغلب عليها العاطفة فى تصرفاتها وذلك مناسبا للدور الذى تقوم به من تربية الأطفال ولتكون سكن لزوجها وهذا يزيدها تكريما ولا ينقص من قدرها.. وكذلك عندما قال النبى ﷺ إن (النساء ناقصات عقل ودين) فذلك لأن العاطفة عندهم تغلب على العقل كما قلنا ويأتى عليهن أيام الحيض لاصلاة فيها ولامس للمصحف فذلك نقص فى الكم وليس الكيف.. وذلك لأن أعداء الإسلام استغلوا هذه الأحاديث وقلبوا معانيها للطعن فى الدين.
- ولذلك فقد ركز الغرب على المرأة وذلك لتدمير الأمة الإسلامية لأنه يعرف أن المرأة هى عصب المجتمع فشوه صورة الدين فى نظرها وصور لها الإسلام على أنه سجن وقيود وتزمت وتخلف ورجعية فخلعت بعض النساء حجابها وضاع حياؤها وزاحمت الرجل فى بعض مجالات العمل التى لا تليق بها وأهملت بيتها وضاع أبناؤها وسارت وراء القيم الغربية المنحلة وقلدت المرأة الغربية.. مع أن المرأة الغربية فى غاية الإهانة فإنها إن لم تعمل لتكسب.. فإنها لن تستطيع أن تعيش وستداس بالأقدام.. كما أنها باعت جسدها وأصبح سلعة تشترى وتباع.. ووسيلة لبيع كل السلع.. حتى إذا تقدم بها العمر تدخل دار المسنين فلا يوجد تكافل ولا بر والدين ولا أى شىء.. حتى إذا ماتت أرسل أحد أبنائها مصاريف الجنازة.. فمن كرم المرأة إذا ومن أهانها؟..